مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تجليـات الواقـع في ديــوان " صـــدى الأشـــجان"
لحسن محمد حسن الزهراني

"Manifestations of reality in the Diwan of "Echo of Trees
Hassan Mohammed Hassan AL Zahrani

ا.د. محمد عبد الرحمن عطا الله

أستاذ الأدب والنقد- جامعة باش العالمية المفتوحة بأمريكا- الفرع الإلكتروني بالسعودية

Doctor Muhammad Abdul Rahman Atalla

Professor of Literature and Criticism - Bash International Open University in America - Electronic Branch in Saudi Arabia

Mohamed_ata1960@yahoo.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص

بدت صورة الواقع جليَّة في ديوان "صدى الأشجان" لحسن محمد حسن الزهراني، هذا الديوان صدًى لأشجانه وأحزانه، وتتجلَّى فيه أزمة الإنسان المعاصر الذي لا ينفصل عن واقعه، بل يعبِّر عنه راصدًا حصاد الأمة المرير.

واعتمدت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة، فقد جلَّت الواقع الاجتماعي، والواقع السياسي، والواقع الديني والثقافي، وقد حاكى الشاعر الأسلوب الشعري القديم في التعبير عن الواقع الساسي والواقع الثقافي، بينما اقتربت لغته من النثرية في تناول الواقع الاجتماعي، والواقع الديني.

Summary

The image of reality appeared to be evident in the Diwan of "Echo of the Ashgans" of Hassan Mohamed Hassan Al-Zahrani, this Diwan is a repulse to his cheeks and sorrows, reflecting the crisis of a modern man who is inseparable from his reality, but rather expresses it as a watchdog of the nation's bitter harvest.

The study was based on three main themes: social reality, political reality and religious and cultural reality, and the poet emulated the old poetry style in expressing Sássi reality and cultural reality, while his language approached prose in addressing social reality and religious realit

المقدمة

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الشاعر السعودي حسن محمد حسن الزهراني([1]) [2]صوت شعري من منطقة الباحة يمتاح من تراثنا العربي ويعتز به، وهو باحث دومًا عن الأصالة ينقب في تاريخ أجداده، ويفتش عن تقاليد آبائه، ولا يني صوته يتوقف، ولا يبطئ سعيه في هذا المضمار، والزهراني في ديوان "صدى الأشجان " في طبعته الثانية يسبح في البحور الخليلية، ولا يفارقها؛ فقصائد الديوان تتكئ على الشعر العمودي، ولا تتعداه إلى الألوان الأخرى، وسوف نتعرف موقفه من شعر التفعيلة، وقصيدة النثر لاحقا إن شاء الله .

ويتجلى الواقع في هذا الديوان بكل ألوانه وأطيافه والواقع الذي تعيشه الأمة العربية واقع مرير، والمتأمل لهذا الواقع تعتصره الأحزان، وتمزقه الآلام، ومن ثم كان العنوان "صدى الأشجان " صدًى لأشجان الشاعر وآلامه؛ فهو راصد لحصاد الأمة المر.

والشاعر بوصفه إنسانًا لا يمكن " أن يعيش بلا واقع؛ فلكل إنسان واقعه ومحيطه بكل ما يحملانه من مكونات مادية، وسنن طبيعية واجتماعية تؤثر على حياة الفرد، وتحدد إطار سلوكه ونشاطه وثقافته وفكره؛ فالواقع بهذا الاعتبار هو من أقوى المحددات التي تعمل على تقييد ثقافة الفرد وفكره؛ ناهيك عن سلوكه ومجمل شخصيته" [(3)] .

مع أن الشاعر يتكئ على أصول المدرسة الكلاسيكية؛ إلا أنه في ديوانه يرتبط بالرؤية الواقعية، و" تعتمد الرؤية الواقعية على تتبع عورات المجتمع وكشفها؛ فهي تميط اللثام عن العيوب والتناقضات" [(4)].

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني من مواليد قرية القسمة بمنطقة الباحة له مجموعة من الدواوين الشعرية، نذكر منها: أنت الحب – فيض المشاعر – صدى الأشجان– ريشة من جناح – قُبلة على جبين القِبْلَة – تماثل

– فاز ديوانه فيض المشاعر بجائزة أبها الأدبية 1412 هـ .

– عضو رابطة الأدب الإسلامي، والجمعية السعودية للأدب العربي، وجمعية الثقافة والفنون بالباحة، ومجلس التعليم بمنطقة الباحة 1421– 1422 هـ.

– رئيس نادي الباحة الأدبي، ورئيس لجنة بر الوالدين بمجمع الملك سعود بالقرى.

– شارك بالكثير من القصائد في الصحف المحلية والعربية والإذاعة والتلفزيون، وشارك في إحياء الكثير من الأمسيات الشعرية .

حسن محمد حسن الزهراني، صدى الأشجان، الغلاف الخلفي للديوان، ط1, مطابع الإيناع، المملكة العربية السعودية ,1426 هـ , 2005– 2006م.

[2]

[3] – يحيى محمد: جدلية الخطاب والواقع, 25, ط1, مؤسسة الانتشار العربي، بيروت, 2002.

[4] – محمد جلاء إدريس: الأدب السعودي الحديث ,159, ط2, مكتبة الرشد، الرياض, 1428 هـ – 2007.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولا تعني الرؤية الواقعية في الأدب محاكاة الواقع كما هو، بل الأمر مختلف تمامًا؛ فتتأسس الواقعية في الفن "على رؤية جمالية تستمد مقوماتها من وعي الواقع، وعلاقة الإنسان به؛ بحيث يمكن للإنسان وفق تأثيراته المباشرة في حياته أن يصنع واقعه وفق ما يمكن أن يتصوره؛ وبغض النظر عن هذه الرؤية التي تعكس إيجابية الإنسان وعلاقاته الاجتماعية فإن آليات التصوير الفني تكملة لذلك الواقع" [1]

وبهذا المفهوم لعلاقة الفن بالواقع, والأدب جزء من الفن ووثيق الصلة به؛ يمكن القول : " إذا كان الأدب يستخدم عناصر بناء عوالمه التخيلية من الواقع؛ فإنه – وهذا ميزته الأساسية – لا يحتفظ بها كما هي, بل يركب بينها على غير مثال سابق, وهكذا يفتح أفق المبدع والمتلقي معًا على عوالم جديدة تحفز معرفتهما بالذات وبالعالم, وتجعلهما قادرين على فهمه أكثر من أي لحظة سابقه؛ كما تدفعهما نحو العمل من أجل تحقيق كل الطموحات التي تم التعبير عنها، أو تحقق لهما طموحاتهما فقط على مستوى التخيل من أجل أن يُسمح لهما بالتفرغ الكامل لمشاغل الحياة العملية" [2].

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان قدرة الشاعر على رصد الواقع، ومحاكاته من خلال تفاعل الشعر مع معطيات الواقع، وتفجير الطاقات الإبداعية في الديوان .

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تحليل علاقة الواقع بالفنِّ، حيث إنَّ الشاعر استخدم بناء عوالمه التخيليَّة من الواقع، الذي يفتح أفق المبدع والمتلقي معًا على عوالم جديدة، تحفِّز معرفتهما بالذات والواقع.

منهجية البحث: تعتمد الدراسة على الاستقراء والاستنباط، ثم تحليل الظواهر الشعرية من خلال ديوان "صدى الأشجان" في ديوان حسن الزهراني.

إشكالية البحث: ما أهميَّة الواقع الاجتماعي في النصِّ الشعري؟ كيف شكَّل الشاعر الواقع السياسي في ديوانه؟ إلى أي حدٍّ تجلَّت رؤية الشاعر الدينية في التعبير عن تجربته؟ كيف عبَّر الشاعر عن الواقع الثقافي في نسقه الشعري؟

ولأهمية الواقع في الفن بصفة عامة، والأدب بصفة خاصة؛ تم اختيار تجليات الواقع في ديوان "صدى الأشجان " ؛ ليكون موضوعا لهذه الدراسة، وتعتمد هذه الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة هي :

الواقع الاجتماعي، الواقع السياسي، والواقع الديني والواقع الثقافي، ونقوم بدراستها على النحو الآتي :-

---

[1] – فتحي بو خالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، 275، ط1, عالم الكتب،الأردن, 2010.

[2] – محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي السعودي,53, ط4, دار الأندلس، حائل, 1427هـ – 2006.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أولا :الواقع الاجتماعي

الإنسان وثيق الصلة بالحياة الاجتماعية المحيطة به، وبطبيعة الحال؛ فالأديب أكثر اتصالًا بالواقع الاجتماعي، و"مصطلح الواقع الاجتماعي فضفاض في دلالته، وهو يبدأ من الواقعة الجزيئة المحدودة، وينتهي إلى الانعطاف الكليّ في حركة المجتمع والحياة" [1].

وتعتبر الأسرة اللبنة الأساس في المجتمع، وهذه اللبنة لها حضور في ديوان "صدى الأشجان" لحسن الزهراني؛ فنراه يوجه شعره إلى الأب والأم والابن والابنة.

فالشاعر في قصيدة "هذا أبي" يفخر بأبيه، ولعله يتناص مع الشعراء العرب في الفخر بالآباء، وإن كان الشاعر القديم يفخر بشجاعة أبيه، أو حسبه أو نسبه؛ فإن حسن الزهراني يفتخر بتقوى أبيه وكثرة صلاته، وترتيله القران؛ حيث يقول مفاخرًا بأبيه :

هـذا أبي مَنْ ذا يُفـَاخِرُني بأبيـهِ مَن يَرقَى بهِ النسبُ
كم باتَ في المحرابِ مبتهلا ما دبّ في أعضائهِ نَصَبُ
تَركَ الحياةَ لكلِّ من خُدِعُوا بِجَمَالِهَـا وسَبَـاهُمُ النَّسَبُ
كَـمْ رتَّل القرآنَ مجتــهدًا فَلِسَـانُهُ بِحُروفِـه رَطِـبُ
هـَذا أبِي فأتُوا بمــثل أبِي وتَفَاخَرُوا فِي الدِّينِ وانْتَسِبُوا
هـَذا أبِي فأتـوا بمـثلِ أبِي مـَا مَرَّ فَوْقَ لِسَـانِهِ كَـذِبُ
هـَذا أبِي فأتـوا بمـثلِ أبِي فأَبِي لِكُلِ المَكْرُمَـاتِ أبُ [2] .

وينتقل الشاعر مباشرة من فخره بأبيه إلى بث مشاعره تجاه أمه في قصيدة "الشمعة " ومشاعر الزهراني في القصيدة لا تختلف عن مشاعر أي إنسان تجاه أمه؛ فالأم شمعة تحترق كي تضئ حياة ابنها، وهي بسمة تبدد أحزان ولدها، وينام الابن والأم يضنيها السهر، ويستبد بها الأرق من أجل فلذة كبدها، ويصفها الشاعر بالوردة في عطرها، والنحلة في بدهائها، والنخلة في عطائها، والكوثر في فيضانه، والبلبل في أنغامه.

---

[1] – حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي,183, ط1, المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ,2007.

[2] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان , 10 .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

نذكر من هذه القصيدة قول الشاعر:

أمَّـاهُ يَا شَمْـعَةً بالحـُبِ تأتلف لكي تُضِئَ حَيَاتِي وهْيَ تَحْتَرِقُ

أماهُ يا بَسْمَةً تُحْيِي رُفَاتِ دَمِي إذَا اسْتَبَدَّتْ بهِ الأَحْزَانُ وَالحُرَقُ

كمْ ليلةٍ مِنْ ليالي العُمْرِ دَاجِيَـةٍ تنامُ عَيْنِي ويُضْنِي عَيْنَكِ الأَرَقُ

وكمْ سَكَبْتِ دُمُوع الشَّوقِ سَاخِنَةً مَدَى غِيَابِي وأَدْمَى طَرْفَكِ الأُفُقُ [1]

وعلى الدرب نفسه، يبث الشاعر إحساساته وعواطفه تجاه ابنته في نص بعنوان " صغيرتي سحر ", والقصيدة تتكئ على المباشرة والوضوح؛ فالابنة درة، وبسمة تبدد الأحزان، ونجمة ونغمة ووردة، ونسمة تداعب الأوراق والأغصان، وإن غابت "سحر" فهي ملء السمع والبصر، وهي الحب والحنان وحمامة سلام .

يقول الشاعر:

صَغِيرَتِي" سَحَرْ "

يا دُرَّةً مِنْ أجْمَلِ الدُّرَرْ.

يا بسمةُ تَغْتَالُ فَجْرَ الحُزْنِ

في مَوَاسِمِ الضَّجَرْ.

يا نَجْمَةً تَتَيهُ بين الثَّغْرِ وَالوَتَرْ

يَا وَرْدَةً تَفَتَّحتْ في رَوْضَهَا النَّضِرِ

يا نسمةً تُدَاعِبُ الأوْرَاقَ والأَغْصَان

في السَّحَرْ [2] .

[1] – السابق: 11

[2] – نفسه:38

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويهدي الشاعر قصيدته " يا ترى من تكون " إلى ولده محمد في يوم مولده، والكل فرح مسرور بمولد محمد؛ لكن الشاعر في حيرة من أمره، وخائف من مستقبل الطفل الوليد؛ فهل سيكون الطفل أملاً وفجرًا، أو ألمًا وعذابًا، ويعطي الأبُ الابنَ ربع قرن ليجيب عن السؤال المعقد، ومن هنا تتحدد سعادة الأب أو شقاؤه.

ولذا اعتمد العنوان على بنية الاستفهام، وتردد الاستفهام في ثنايا النسق الشعري، والشاعر من خلال بنية الاستفهام يحاول أن يخرج من ظلام الشك إلى نور اليقين؛ لكن نور اليقين مؤجل ربع قرن، واستطاع الاستفهام أن ينأ بالقصيدة عن المباشرة إلى حد ما؛ فتجلَّى حوار النفس مع الابن من خلال أسلوب الاستفهام، فخلق ثنائية في النص الشعري مما أضفى عليه نوعًا من الدراما، يفتتح الشاعر نصه بقوله :

جِئْتَ في يَومِ فرحةٍ يا "محمدْ" فَتَـغَنَّى بك السـرُورُ وغَــرّدْ

فَرِحَ الأَهـلُ والأحبـةُ حَــوْلِي كـلُّ فَرْدٍ تَخَالُهُ العَيْنُ أسْــعَدْ

وأنـا حَائرُ أُسَـائِلُ نَفْــــسِي عنك والخَوْفُ بَيْنَ جَنْبَيَّ يُوقَدْ

يَا تُرَى مَنْ تَكُونُ هَلْ أَنتَ فَجْرٌ لِسُرُورِي وفَرْحَـةٌ تَتَجــــدَدْ ؟

يَا تُرَى مَنْ تَكُونُ هَلْ أَنتَ وَهْمٌ وَعَذَابٌ للقَلْبِ غَيْرُ مُــــحَدَّدْ؟ [1]

وتعد علاقة الأبناء بالآباء من أهم القضايا الاجتماعية، وقد تعتري هذه العلاقة بعض المشاكل الاجتماعية، وأشد هذه المشاكل عقوق الوالدين، ويظل كثير من الأبناء في صراع بين زوجته وأمه؛ فالزوجة تريد أن تعيش في بيتها بعيدًا عن أم الزوج، والأم ليس لها أحد، ويضعف الابن أمام رغبة زوجه، ويؤثر العقوق على البر والطاعة.

هذه المشكلة الاجتماعية التي قد تتكرر كثيرًا ليس في المملكة فحسب، بل في جميع البلدان يصورها الشاعر في قصيدة بعنوان " دمعة أم وحيدة ", على حد قوله:

تركـوني لِوِحْـدَتِي أبنَــــائي تركـوني للـوعَتِي وعَنَــــائِي

تركـوني للحـزْنِ يأسِرُ قــلبِي وأنيسي في ليْلِ خـوفِي بُكَـائِي

أنَا أعْطَيْـتُهُمْ حَــنَانِي وحُــبّي كيف كان العُقُوقُ مِنْهُمْ جزائي؟

[1] – نفسه:51

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كيـف طَابَت نُفُوسُهُمْ بِـــعَذَابِي كَيْفَ صُمَّتْ آذانُهُمْ عَنْ نِدَائِي؟

كيف ضَاقَتْ بُيُوتُهُم عن مكاني صِرْتُ عِبْئًا مِنْ أَثْقَل الأعباءِ [1]

وإن كان الأبناء تركوا أمهم وحيدة؛ فإن الأم تركت ابنتها لُجَيْن وحيدة؛ لكن الأبناء تركوا أمهم عقوقا؛ بينما الأم غيبها الموت، وهذا ما سجله الشاعر في قصيدته "لُجَيْن" حيث قدم للقصيدة بقوله : " لم يبلغ عمر زواج الحبيبين عامين " – ثم جاءت "لُجَيْن"– وبعد مولدها بشهرين رحلت أمها؛ لتتركها يتيمة مع الزوج الحزين ولسان حاله يقول:

عَقَدَ الأسَى بِكِ "يا لُجَيْنُ" لساني فَسَكَبْتُ في سَمْعِ المُنَى أَحْزَانِي

كُفِّي "لُجَيْنُ" عَنِ البُكَاءِ وكَفْكِفِي دَمْعًا يُذِيـبُ بَيَـادِرَ الكــتمَانِ

قَطّـعْتِ قَلْـبِي يا لُجَـيْن تَرَفّـقِي إنَّ الــذِي أَبْكَــاكِ قَـدْ أَبْكَــانِي

فأنا وأنْتِ حِـكَايةٌ مَكْتُـــــوبَةٌ بالدمـعِ فَـوْقَ بَرَاعِـمِ الأشْـجَانِ [2]

والقصيدة تحمل في طياتها كثيرًا من الآلام والأحزان، ويزيد من الألم البنية التكرارية للعنوان داخل النص الشعري؛ فقد تكرر العنوان "لُجَيْن" خمس مرات في النص الشعري، والحوار بين الأب والابنة نحا بالنص نحو التعبير الدرامي التراجيدي؛ وإن كان الزوج يعتصره الحزن ويمزقه الألم؛ لكن حزن الابنة يفوق حزن الأب بكثير فحزنهما لا يشتبهان؛ وهذا ما كشف عنه الحوار؛ حيث تقول لجين :

سَيَمُوتُ حُزْنُكَ يا أبِي أمَّا أنا سَيَظَلُّ حُزْنِي دائمُ الثَّوَرَانِ [3] .

وننتقل من مأساة "لُجَيْن" إلى مأساة "رحاب" , فكلتاهما قد غيب الموت أمهما؛ لكن الفارق كبير " لُجَيْن " أبوها دفن أمها التي وافتها المنية، و" رحاب " قتل أبوها أمها, وهذه المأساة سجلتها عدسة الشاعر في قصيدة بعنوان "أبتاه كيف قتلت أمي", وكتب توطئة بين يدي القصيدة يقول فيها :"هذه القصيدة كتبتها على لسان الطفلة المنكوبة "رحاب" التي فتحت عينيها لترى أباها يقتل أمها بالسكين, وأخوها الصغير، وأختها الصغيرة من حولها يبكيان أحر البكاء وقد

---

[1] – نفسه:30

[2] – نفسه:60

[3] – نفسه:62

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

طُعنت أختها عندما حاولت التشبث بأمها، وأخوها الرضيع يبكي على صدر أمه.. ماتت الأم ومات الجنين الذي لم ير النور بعد.. وتشردت الأسرة" [1] .

إن مأساة "رحاب" أشد بكثير من مأساة "لُجَيْن" فلُجَيْن لم تَرَ دماءً، ولا قتلاً للبراءة، ومن ثم نعاين حزن رحاب عاتيًا، وجرحها عميقًا يقول:

أبتاهُ ما ذَنْبِي وما ذنبُ البراءةِ حِينَ تَقْتُلُنَا سويًّا ؟

أَبتاهُ كَيفَ تَركتَ لي عمرًا شَقِيًّا...؟

أبتاه لن أنْسَى يَدَيْكَ القاتلةْ...؟

في جِيدِ أُمِّي وهْي تَصْرُخُ قائلةْ:

خُذْ مَا تُرِيدُ مِنَ الحَيَاةِ الزائلةْ

(دَعْنِي أَعيشُ مع رحابْ)

(دَعْنِي أَعيشُ مع رحابْ)

خذ ما تريدُ فإنَّمَا الدنيا سرابْ [2] .

والقصيدة تسير على هذا النسق الموغل في الواقعية، ويقترب النسق الشعري من النثرية، ويتماهى مع الواقعيين الذين" لا يحبون المبالغة في العناية بالأسلوب؛ لأنه وسيلة لا غاية، والأهمية الكبرى موجهة للمنطق وللطريقة التي تسود ترتيب الأحداث والتعبير عنها" [3]

والصداقة والصديق من الموضوعات التي حفل بها الأدب العربي خاصة العصر العباسي، وقد عرف هذا الموضوع طريقه إلى نثرنا العربي أكثر من الشعر.

ونرى صدى لهذا الموضوع في ديوان "صدى الأشجان"؛ فتارة يشيد بأصدقاء العمل الأوفياء، وتارة أخرى يلقي باللائمة على أصدقاء مخادعين وحاقدين وناكري الجميل.

---

[1] – نفسه:18

[2] – نفسه:19

[3] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ، 380 ، دار نهضة مصر، القاهرة ، د .ت .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويجسد الشاعر حزنه لفراق أصدقائه في المدرسة المتوسطة والثانوية ببني عدوان في قصيدة " زهر حول قصر ونخل حول قبر" ويصدرها بإهداء: "إلى الذين قاسموني أفراح الزمان وأحزانه خمسة أعوام إلى الزملاء في متوسطة وثانوية بني عدوان " . [1]

والقصيدة صدى لأحزانه وأشجانه عن فراق الأصدقاء الأوفياء؛ بعدما قضى معهم خمسة أعوام فيها من الحب والود والصفاء ما يدفع الشاعر إلى الحزن على الفراق، ونجتزئ من النص بعض أبياته حيث يقول الشاعر :

طَلَبْتَ فِرَاقَهُمْ ورَغِبْتَ عَنْـــهُمُ فَمَـا أهْـدَاكَ للتَفْكِيـرِ عَقْــلُ

أمَـا واللهِ لا تَلْـقَي بَدِيـــــلاً لَهُمْ مَا انَّهَلَّ فَوقَ الأرضَ وَبْلٌ

وَهَلْ يَقْوَى الفُؤَادُ الصَّبْرَ عَنـهُمْ وذِكرَاهُـمْ لـهُ مـاءٌ وأكـــــلُ؟!

نَدِمتُ علَى الفِرَاقِ وأنــتَ تَدْرِي بأَنَّ الهجْرَ بَعدَ الوصلِ قَتْــلُ [2]

ويصور الشاعر نوعًا آخر من الأصدقاء مختلفين تمامًا عن الأصدقاء السابقين؛ فهم يقبلون على الشاعر عندما يقبل عليه الدهر، وعندما يقلب له ظهر المجنّ؛ يولّون فرارًا، ولذا وصفهم بالمخادعين في قصيدة "خداع الأصدقاء" على حد قوله:

وسَائِلَتِي عنِ الأصْحَابِ لمَّا تَجَهَّـمَ وجْهُ دَهْرِي واكفهرار

فَقُلتُ لهَا لقَدْ ولُّوا جَمِـيعًا وأصْدَقُهُــم عنِ الأحداثِ فرَّا

لقدْ خَابَتْ بأصْحَابِي ظُنُونِي وَلَمْ أرَ لي لدى الأصحابِ قدرَا [3] .

ونكران الجميل ظاهرة اجتماعية قد يُمنى بها المرء؛ فيقابل الأصدقاء المعروف بالإساءة، والمحبة بالبغض، والإقبال بالأدبار، والعطاء بالمنع؛ وهذا ما دفع الشاعر أن يبث أحزانه وآلامه من هذا الصنف من الأصدقاء الذين لم يراعوا حق الصداقة، ولا الصديق في قصيدة بعنوان " نكران الجميل " يقول:

تَحَمَّلْتَ مَا لا تَسْتَطيعُ ولا أرَى صَنِيعَكَ فِيهم رَغْمَ جُودِكَ يُشْكَرُ

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان, 66.

[2] – السابق:66،67.

[3] – نفسه:150

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وأقْبَلْتَ تُهْدِيهِم مَحَبَّةَ مُخْلِصِ عَلى أمَلِ الإقبـالِ مِنْهُمْ فأدبرُوا [1] .

والحقد من الظواهر الاجتماعية التي تفشت في المجتمعات الحديثة, ولعل الدافع إلى انتشار هذه الظاهرة, بُعْد الحياة عن بساطة القرية والبادية، واتجاه المجتمعات نحو التطور الاجتماعي الذي صحب الطفرات الاقتصادية، وبالطبع تطغى المادة على حياة الأفراد في هذه المجتمعات فكانت عدسة الشاعر راصدة لهذه الظاهرة في قصيدة "ظلم الأحبة ".

يقول في مطلعها:

تَجَاهَلَـنِي قَـوْمٌ يَظُنُّونَ أنّني أقَمْـتُ لِشَـيءٍ مِنْ تَجَاهُلِهُمْ وَزْنَا

ولكنَّـنِي أيْقَنْـتُ أنّي سَبَقْـتُهُمْ وَقَدْ زَادَهُم سَبْقِي عَلى حِقْدِهُمْ حُزْنَا

فَمَا ضررني مَنْ زَمَّنِي وَهْوَ جَاهِلٌ وَمَا زَادَنِي فَخْرًا ثَنَاءُ الذِي أثْنَى [2]

وتعتبر حوادث الطرق من أكثر المشكلات التي تهدد الدول, وتؤرق الشعوب وطريق الجنوب في المملكة العربية السعودية من أكثر الطرق الذي تقع عليه حوادث السير, ومن هنا نرى الشاعر يسلط عدسته على هذا الطريق, وللحوادث أسبابها ودوافعها, والسلوك البشري يُعدُّ سببًا رئيسًا في هذه المشكلة؛ لكن الشاعر يصب جام غضبه على الطريق؛ فهو المذنب الوحيد, ولذا عنوَّن قصيدته "سفاح الجنوب"؛ فهذا السفاح كان سببًا في فقدان الأحبة، وحرمان الصغير من أبيه, وثكل الأم ابنها, وكم خطف الطريق عريس ليلة عرسه, وعروسًا باتت في انتظار الحبيب؛ لكن صوت النَّعِيّ بدل لحظات السعادة غمًّا وحزنًا.

ومن ثم توجه الشاعر إلى طريق الجنوب قائلا:

يَا طَرِيقَ الجنوبِ كَمْ مِنْ دِمَاءٍ سُفِكَتْ فِيكَ مَالهَا مِنْ ذُنُوبِ!

جِئْتَ سَفّـاحَنَا الرَّهِيـبَ بِقَـــلبٍ تَـتَرِيّ المُنَى وكَفٍ صَلِـيبِي

كمْ دِمَاءٍ شَرَبْتَـهَا لَسْـتَ تُرْوَي أيُّهَا الوَغْدُ مِنْ دِمَاءِ القُلُوبِ

---

[1] – نفسه:156

[2] – نفسه:64

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أَنْتَ غُولُ الجَنُوبِ حقًا أَمَا مِنْ مُنْقِذٍ مِنْ شِبَاكِ غُولٍ رَهِيـبِ؟ "[1]

ويعرض الشاعر حياة المعلم وهمومه بوصفه معلمًا في قصيدة "هموم المعلم"، وحياته وهمومه هي هموم كل المعلمين؛ فيقضي المعلم عمره بين الطباشير والتحضير، وعلاقة المعلم بمديره قد لا يسودها الوفاق، وأما تلاميذه؛ فهمُّه معهم شديد؛ منهم من يهمل واجباته، ومنهم من يعشق اللهو، وفريق ثالث لم يحفظ دروسه، وفريق آخر سيء الأخلاق، والموجهون يطلبون منه التنفيذ دون تفكير.

ونجتزئ من القصيدة على طولها بعض الأبيات حيث يقول:

عِشْتُ عُمْرِي مُعَلِّمَا بِيْنَ همّي وعَـــذَابِي تَغْتَـــالُنِي الأوْرِاقُ

ضَاعَ عُمْرِي بَيْنَ الطباشير والتحضير حتى أَصَـابَنِي الإرهـــاقُ

وقَتَلْتُ الطُّمُوحَ فِي النفسِ حتى لَـمْ يَعُد يَسْتَثِيرُهَا الإشْـــــرَاقُ

كلَّ يَومٍ تَأتِي التَعَـالِيمُ فِيـهَا خُطَّةُ السَّيرِ ضَـاقَ عنَهْاَ النِّطَاقُ[2]

وعندما يقترب الشاعر من نهاية القصيدة يُشَخِّص الداء الذي تصاب به العملية التعليمية في وطننا العربي، وتجعله متخلفًا عن ركب الدول المتقدمة، وهي تقييد المعلم وتكبيله، والمعلم يعد حجر الأساس في العملية التعليمية، يقول:

كيفَ يَسْعَى إلى المَعَالِي أَسِيرٌ؟ كيف يسْمُو مَنْ في يَدَيْهُ وَثَاقُ [3]

وينتقل الشاعر من هموم المعلم إلى هموم المدير في قصيدته "هموم المدير", وهذه الهموم تتجلَّى بعلاقته بالمدرسين فمنهم المجتهد، ومنهم المتخاذل، ومن يهوى الغياب، ومن المعلمين من يهمل التحضير، ومشاكل الطلاب لا تحصى، وغياب العمال متكرر، ولأولياء الأمور قصص مع المدير، وإدارة التعليم طلبها واجب التنفيذ، أما طلبه؛ فالأعذار جاهزة، ومن هنا يجسد المدير الشاعر همومه وأحزانه في قوله:

أَصْبَحْتُ واسفَ الفؤادِ مُدِيرَا فَوَقَعتُ في سِجْنِ الهُمُومِ أَسِيرَا

احتَرْتُ بين أمانةٍ حُمِّلْتُـــهَا ورِضَـا الأنامِ فَهَل أَنَامُ قَرِيرَا؟

---

[1] – نفسه:86

[2] – نفسه:69

[3] – نفسه:71

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ضِدَّانِ لا يتآلَـفَان بِمَوْضِـعٍ مَا زَالَ جَمْعُهُمَا عَلَىَّ عَسِيرَا [1]

ويمكن أن نسجل ظاهرة هنا، وهي ظهور طابع النثر في الموضوعات الاجتماعية التي هي أكثر صلة بالحياة اليومية، ونرى أسلوب النثر يتجلى فيها من وضوح الفكرة، وتقريرية العبارة، والميل إلى السرد والتفصيل، والاقتصاد في الخيال، وقلة الحرص على التصوير الفني، وهذه الظاهرة تجلت في شعر أبي العتاهية الشاعر العباسي الكبير؛ فقد كان العمل الفني عنده في بعض جوانبه ترجمة شعرية يترجم فيها النثر إلى شعر[2].

ثانيا : الواقع السياسي

السياسة جزء أصيل في حياة الأمم والشعوب، ولذا يعتبر السياسي، هو أساس أي عمل ثقافي[3] إذًا هناك علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة؛ لكن "يبدو أن العلاقة بين الجمالي والسياسي معقدة إلى درجة كبيرة " [4]

وتُعد القضية الفلسطينية هي قضية العرب الكبرى، وعرفت طريقها إلى الأدب سواء الخطاب الشعري، أم الخطاب السردي، "وقد كان لاندلاع الانتفاضة الفلسطينية 1987 أثر كبير في الشعر العربي السعودي القومي؛ حيث أُلِّفَتْ العديد من القصائد في هذا المجال، وتفاوتت أساليبها، وطرائق تشكيلها" [5].

وقد ألقت القضية الفلسطينية بظلالها على ديوان "صدى الأشجان"؛ فأفرد حسن الزهراني للقدس قصيدة بعنوان "رسالة إلى القدس" ولايني يعرج على القضية في ثنايا قصائد أخرى .

ولعلنا نرى الشاعر في قصيدة "رسالة إلى القدس" ، حزينًا على نكبة فلسطين، وضياع القدس، ويرى أن السبب الرئيس في هذه الأزمة غرق الأمة في سبات عميق، وتشتتها وتشرذمها، وعدم اجتماعها على كلمة سواء، وحب الزعامة أيضًا من الأسباب التي أدَّت إلى استباحة الدماء، ومع ذلك يرى أن ما أصاب القدس ابتلاء، وقضاء محتوم .

يا قُدْسُ هذَا ابْتِـلاءٌ ولا مَـرَدَّ له إذَا قَضَى اللهُ مَاذا يَصْنَعُ البَشَرُ

يا قُدْسُ يا موطنًا عاثَ الزمَانُ به مَنْ كان يعلم ما يُخْفِي لكَ القَدَرُ

---

[1] – نفسه:125

[2] – راجع: يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد, 82, دار غريب، القاهرة، د.ت.

[3] – سعيد يقطين: الأدب والمؤسسة والسلطة نحو ممارسة أدبية جديدة, 44,ط1, المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت,2002.

[4] – صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية ,1, ط1, دار سعاد الصباح، الكويت, 1992.

[5] – محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي السعودي ,60

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كانت سَمَاؤُكَ تَقْضِي اللَّيْل حالِمَةً تُزَيّنهَا الأنْجُمُ الزهراءُ والقمرُ [1]

ويستنكر الشاعر اعتداء اليهود على المصلين، والركع السجود في الخليل، ويندد بالمفاوضات والصلح والقرارات؛ التي لا تساوي الحبر الذي تكتب به، حتى هذه القرارات التي لا تسمن ولا تغني من جوع؛ تقابل بالرفض؛ فيعدل قادة الصلح عما عزموا عليه.

أمَا تُرينَ" يهودًا "في "الخَلِيلِ "سَـــطَوْا على المُصَـلّين كمْ مِن سَـاجدٍ قَتَلُوا؟

وقَادَةُ الصُّلحِ في القاعاتِ كم كتَبُوا من الـــقراراتِ في أوْرَاقِهــمْ وتـلُـوا

حتى إذَا قَابَل الأعْـدَاءُ مَا كتَـــبُوا بالرَّفضِ شَاهَدتُهُمُ عن حَزْمِهِمْ عَدَلُوا [2]

ولم ينسَ الشاعر الجرح اللبناني؛ فقد جاورت لبنان الجريحة، القدس السلبية في قصيدة "رسالة إلى القدس", وقد ذكر أن حب الرئاسة، وعشق الزعامة السبب الرئيس في تدمير لبنان، فأبناؤها سبب دمارها.

وقد أفرد الزهراني للبنان قصيدة بعنوان "لبنان الجريح" نذكر منها قوله:

لبنانُ وحاسرتي لُبْـنَانُ وا أسَـفَي مِمَّا أرى فيكَ نارُ القلبِ تَضْطَرِمُ

كانتْ رِيَاضُكَ جَنَّـاتٍ بَلابِلُـــهَا تَشْدُو فَيَسْرِي شَجِيًّا بَيْنَـهَا النَّـغَمُ

فَدَبَّرَتْ لكَ أيْدي الغدرِ في صلفٍ مَكِيـدَةً أنكرَتهـا العُرْبُ والعَـجَمُ

أَصْغَي بَنُوكِ لأقوالِ الـوشَاةِ وهُمْ بِكَيْدِ أعْدائِهِمْ في السِّر ما عِلمُوا [3]

الشاعر اعتمد على الإيجاز والاقتصاد اللغوي؛ فأشار إلى مأساة لبنان، وترك للمتلقي البحث عن المسكوت عنه، وسد فجوات النص، والنص أيضًا يستثير ذهن المتلقي لتستدعي ذاكرته الحرب الأهلية الدموية التي دامت أكثر من ستة عشر عامًا من 1973 إلى 1990، كما تستدعي ذاكرة المتلقي اجتياح إسرائيل جنوب لبنان 1978، وتكرار الاجتياح 1982؛ حيث وقعت مذبحة صابرا وشاتيلا ومذبحة قانا 1996.

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان, 60

[2] – السابق:58

[3] – نفسه:22

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كل هذه الأحداث المختبئة في عباءة النص كفيلة أن تدمي قلب لبنان، وتحول رياضها الغناء غابات، وتتوقف بلابلها عن الشدو الشجي، لتعزف نغما حزينًا.

وفي قصيدة " النداء الأخير" قبل أن يعرِّج الشاعر على نكبة فلسطين؛ صوَّر مأساة "البوسنة والهرسك", وكيف هتك الصرب الأعراض، وذبحوا الأطفال، وهدموا المساجد، واتسع النص؛ ليتجاوز الأمة العربية إلى الأمة الإسلامية، واستطاع النسق اللغوي تحقيق التوحد والتماهي بين الأمة الإسلامية عن طريق الإضافة بين أعراض البوسنيين وأطفالهم ومساجدهم والضمير ناء / الدال على الفاعلين، والإضافة تعني الترابط والتماسك" فالمضاف والمضاف إليه كيان متماسك، طالما أنزله النحويون منزلة الكلمة والواحدة " [1]

يقول الشاعر:

أما تَرَيْنَ كِلابَ الصِّرْبِ تَنْهَشُ مِنْ أعْرَاضِنَا مالَنَا في أمْرِنَا حِـــــيلُ !

ونُصْبَ أعْيُنِنَا أطْفَالُنَا ذُبِحُـــوا فاسْتصْرَخت دَمْعَنَا في حُزْنِهَا المُقَلُ

ونُصْبَ أعْيُنِنَا دكُّوا مَسَـــاجِدَنَا واغْتِيلَ مَنْ كَانَ فِي المِحْـرَابِ يَبْتَـهِلُ [2]

أما فتنة غزو الكويت فقد أحدثت "صدى هائلًا في الشعر السعودي حتى أن بعض الشعراء أصدروا دواوين كاملة لهذا الغرض، وبعض الشعراء الذين صمتوا من فترة طويلة عادوا لقرض الشعر بسبب هذه الواقعة الجسيمة؛ فمن النبرة الهجائية التقليدية إلى أسلوب الرسائل الشعرية المفتوحة ...إلى سرد الوقائع الفاجعة... إلى نموذج تجسيد الفداء من أجل تحرير الكويت [3]

وحسن الزهراني كتب قصيدتين في ديوانه "صدى الأشجان" عن فتنة غزو الكويت؛ القصيدة الأولى بعنوان "الخيانة"، وعنوَن القصيدة الثانية "دماء الأبرياء", واتكأ على النبرة الهجائية التقليدية، وقد صب جام غضبه في القصيدتين على "صدام حسين"، ووصفه في القصيدة الأولى بالخائن للعرب والعروبة، ووصفه بسفاح بغداد، وأنه قزم.

يا خَائِنَ العَهْدِ الذِي رُفِعَتْ لَهُ ولشَعْبِهِ في أرضِنَا الأعْلاَمُ

---

[1] – عبد الكريم حسن: لغة الشعر في زهرة الكيمياء بين تحولات المعنى ومعنى التحولات, 14, مجلة فصول، ج8,ع1, 2, القاهرة,1989.

[2] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان، 22

[3] – محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي السعودي، 22.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

كنا نَمُـدُّكَ يا لئـيمُ بِمَالِنَـــا فَتَكَشَّفَتْ عَـن غَدْرِكَ الأيَّامُ [1]

وفي القصيدة الثانية "دماء الأبرياء" يندد بخداع "صدام" لجارته الكويت، ويندد أيضًا بجرائمه في العراق، وارتكاب المذابح في حق شعبة، وارتكابه المجازر في أبناء الكويت الأبرياء.

فَكَمْ ذاقَ شَعْبُ الرَّافِدَيْنِ عَذَابَهُ جَرَائِمُهُ في كلِّ نَاحِيَـةٍ تَـتْرَي

وجَاءَ إلى أرْضِ الكويت بِظُلْمِهِ أبَانَ لَهُـمْ ودًّا وأَخْفَى لَهُمْ شَرَّا

وشَتَّـتَ شَعْباً آمنـًا في بـلادِهِ وقدْ هَتَكَ الأعْرَاضَ أوغاد جَهْرَا [2]

ويشخص الشاعر الداء الذي أصاب الأمة الإسلامية، وتحولها إلى حالة شديدة من الضعف والاستكانة، إن الداء كامن في تعويل العرب والمسلمين على مجلس الأمن في كل قضاياهم ؛ ومجلس الأمن لا يعرف عدلاً ولا إنصافًا؛ فهو دائماً يكيل بمكيالين، وقد ذكر الشاعر هذه الآفة في قصيدتي " النداء الأخير" ،و" يا أمة الإسلام".

يقول في قصيدة " النداء الأخير" :

كمْ سَيْرُونَا كمَا يَهْوُون وأسَـفَى كأنَّمـا دَبَّ في أعْضـائِنَا الشَّللُ

أعْدَاؤُنا شَيَّدوا للأمنِ مَجْلِسَهُمْ كيـمَا تُحَـاكُ لَنا في ظِلِّهِ الحِيَلُ

أعْدَاؤُنا شَيَّدوا للعَـدْلِ مَحْكَـمَةً لكنَّهُمْ في قَضَايَا العُرْبِ مَا عَدَلُوا

كنَّا نقُودُ فأصْـبَحْنَا نُقَادُ أمَـا يُجَابِهُ الظُّلمَ مِنْ "مِلْيَارِنَا رَجُـلُ [3]

وإن كان الشاعر شخَّص الداء في قصيدة "النداء الأخير"؛ فإنه يشخص العلاج في القصيدة نفسها؛ حيث يقول:

أوَّاهُ "يا عُمَرُ الفَارُوقُ" هَلْ عَلِمُوا قُوَّادُنَا قَولَكَ المَـأثُورُ أمْ جَهِلُوا؟

أوَّاهُ "يا ابنَ الوليدِ" اليومَ لا فَرَسٌ تَعْدُوا إلى ساحةِ الهَيْجَا ولا بطلُ

أوَّاهُ "يا هَـارُونُ" كمْ صَـــرَخَتْ عَـذْراءُ مِنْ ظُـلْم عِلْجٍ مَالَهُ مَثَلُ

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان،136.

[2] – السابق:139،140

[3] – نفسه:24

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فَمَا أَمَاطَ لِثَام الغَوْثِ "مُعْتَصِـمُ" منَّا وقد ضَمّنَا في لَيْلِهِ الكَسَلُ [1]

النص هنا ينفتح على ماضي الأمة المجيد، وعزة المسلمين؛ فالبيت الأول يتعالج مع قول عمر المأثور :"نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً " [2]

والنص يرتد إلى الوراء؛ ليبعث جهاد خالد بن الوليد وفتوحاته في النسق الشعري؛ ليحدث مفارقة بين ماضي الأمة المشرق، وحاضرها المهادن المستكين، والنص أيضًا يشير إلى جهاد هارون الرشيد، وانتفاضة المعتصم من أجل امرأة، وكل هذا من شأنه إحداث عنصر المفارقة بين أمة يهابها الأعداء، وأمة تنتظر قرارات مجلس الأمن أو محكمة العفو.

فالشاعر يرى لا عزة ولا كرامة للأمة إلا بعودتها إلى إسلامها، واقتفاء أثر أبطالها فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها.

ثالثا : الواقع الديني والثقافي

1- الواقع الديني

يتجلى الواقع الديني عند حسن الزهراني من خلال نموذجين النموذج الأول في قصيدة "الراحلان" ، والنموذج الثاني في قصيدة "المصير".

يرى الشاعر في قصيدة "الراحلان" أن سبيل خلاص الأمة؛ مما ألمَّ بها هو العودة إلى القرآن الكريم وتطبيق تعاليمه حتى يصير منهج حياة؛ لكن الأمة غافلة عن تطبيق تعاليم القرآن بل هي أمة مخدرة بسبب إهمالها كتابها، وتأتي النُّذُرُ؛ النذيرُ تلو الآخر؛ لكن لم تغير في نهجها النُّذُرُ، ولابد أن ننتصر على الشيطان، ونسير على درب الهدى والطريق المستقيم حتى يتغير حالنا، يقول:

ولا خَـلاصَ لنَـا إلا بِعَوْدَتِنـَا

إلى الكتابِ الذي تَزْهُو بِهِ السّـوَرُ

لكننا لـــمْ نَزَل في غَفْلـةٍ وعلى

قلُوبِنَا يَجْـثُمُ الإهمَـالُ والخَـدَرُ

---

[1] – نفسه:23.

[2] – أبو الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية ، 7/ 60 ، مكتبة المعارف، بيروت، د .ت .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يا ويْحَنَا كـم رأينَـا حَـوْلنَا نُذُرًا

لكنـَّهَا لمْ تُغَيِّـر نَهْجِـهَا الـنُّذُرُ

متَى نَسِيرُ على دَرْبِ الهُدَى وَمَتَى

على الهَوَى وَعلى الشَّيطَانُ نَنْتَصِرُ [1]

أما قصيدة "المصير", فتدخل في شعر الزهد، والشاعر يذكرنا بشاعر الزهد الأكبر أبي العتاهية؛ فالفكرة الأساسية في شعره الزهدي فكرة المصير: مصير الإنسان في الحياة، ومصيره بعد الموت؛ فقد ترددت هذه الفكرة في شعره بصورة واسعة [2]

ويلجأ الشاعر غالبًا إلى الزهد عندما تطغى المادة على الحياة ،وتظهر موجات منحرفة، ويندفع الناس في تيارات اللهو والمجون؛ فيكون الزهد رد فعل لتلك التيارات، وكأن الشاعر يريد أن يخفف من غلواء تلك النزعات؛ فيذكِّر الناس بمصيرهم في الحياة، ومصيرهم بعد الممات.

فالموت مصير الإنسان في الحياة مهما طالت، فهذا قدر محتوم لابد منه، فلا ينفع مال ولا بنون؛ فالعمل الصالح هو سبيل النجاة، يقول:

قَال عِندَ الوفـاةِ قَوْلاً أليـــمًا ويْحَ عُمْـرِي هَذَا يكونُ خِتَامَهْ

أيْنَ مَالي وكبريائِي وجَاهِي؟ أيْنَ عِزّي بَل أيْنَ تِلكَ الكرامةْ ؟

ذَهَبَتْ كُلُّهَـا ولمْ يَـبْقَ إلا عَمَـلِي فِي الحَيَـاةِ يَا للنَدَامَةْ

هكَذَا نَحْنُ كُلُّنَا فِي غـُرُورٍ نَسْـأَلُ اللهَ عَـفْوَهُ والسَّـــلامَةْ [3]

أما مصير الإنسان بعد الممات؛ فهو مصير معروف لكل إنسان؛ إما جنة، وإما نار :

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان،134

[2] – راجع: د. يوسف خليف : في الشعر العباسي نحو منهج جديد, 72

[3] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان,159

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أيُّها النَّاسُ إنَّ ربّي رَقِيبٌ فاْحْذَرُوا إنْ عَصَيْتُمُوهُ انتقامهْ [1]

ولعلنا نلاحظ في النموذجين السابقين وضوح الفكرة وتقريرية العبارة، وعدم الحرص على التصوير الفني، وهي موضوعات قريبة من القصص الديني.

2- الواقع الثقافي

يمثل الشعر رافدًا مهمًا من روافد الثقافة, والشاعر باعتباره ممن يتمسكون بالشعر العمودي؛ فيوجه نقدًا لاذعًا لأنصار شعر التفعيلة وقصيدة النثر من خلال قصيدتيْ " يا لساني ماذا أرى في زماني", و" من ينصف الشعر", والمعارك التي دارت بين أنصار القديم والجديد لم تكن وليدة العصر الحديث، بل هي قضية تثار في كل عصر؛ فقد احتدمت نارها بين أنصار أبي تمام والبحتري في العصر العباسي, وعندما ظهرت قصيدة التفعيلة انبرت حولها الكثير من المعارك حتى ثبتت على أرض الواقع عندما كتبها شعراء كبار من أمثال البياتي، ونازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقلة، وغيرهم.

ومن هنا لا أجد غضاضة في ظهور تجارب مختلفة الأداء عند شعرائنا العرب المعاصرين.. ولا ينبغي أن نظل جامدين في مكاننا نبحث في شرعية شعر التفعيلة، أو ما يسمى بالشعر الحر، أو شرعية الشعر المنثور، ولا ينبغي أبدًا أن نظل متعلقين بأشكال القدماء، فلكل عصر فلسفته وروحه، ولابد أن يساير الأدب الحياة، وإلا انبتَّ عن تأثيره وعطائه، ولكن هذه التجارب الجديدة لا ينبغي أن تصرفنا عن تعلقنا بالتراث، واستحيائنا منه، فهو.. يسري في عروقنا، ويُكَوِّن نسيج شخصيتنا، ويحقق انتماءنا، فليس هناك معاصرة بغير التراث، وليس هناك تراث بغير معاصرة لنحقق وجودنا [2]

يقول الزهراني منتقدًا الشعر الجديد في قصيدة "يا لساني ماذا أرى في زماني":

أُسْتُبِيحَتْ مَحَارِمُ الشِّعرِ حتَّى صَارَ لَهْوًا يَهْوَاهُ كُلُّ لِسَانِ

أيُّ عَصْرٍ هذَا الذِي نَحْنُ فِيهِ أيُّ شِعْرٍ نَرَاهُ كَالطَّيْلَسَانِ؟

كَتَبُوا أتْفَهَ الكَلَامِ وقالُوا شِعْرِنَا العَذْبُ فِيهِ سِرّ البَيَانِ

---

[1] – السابق:158

[2] – محمد مصطفى هدارة: الشعر المعاصر إلى أين قراءة في قصائد شعراء الغربية, 15, مطبوعات الرافعي، الغربية، مصر, 1984.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فَمَتَى تُنْقَذْ القـوافِي ويَغْـدو جَيْدُ الشِّعرِ كَاسِـبًا للرهَانِ؟

وَمَتى يُصْبِحُ الأصِيلُ قِيَاسًا وَيَعُودُ الفِرْسَانُ للمَيْـدَانِ؟

ويُدَوِّي صَوْتُ الأصَالَةُ فِينَا ويُوَلِّي الأدْبَارَ كلَّ جَبَـــانِ [1]

إن العيش في الماضي تقوقع والدعوة إلى المعاصرة وإغماض العين عن التراث انسلاخ؛ لكن لابد من الجمع بين التراث والمعاصرة؛ " فالتراث قيمة ممتدة الأثر في وجودنا لا ينبغي التخلي عنها، والمعاصرة هي الوجود الفعلي، ولكنه وجود مبني على الماضي، وهي لا تنفي الأصالة بل تقرها، وتؤكد وجودها، وقدرتها على العطاء والإبداع" [2]

ويعزف الشاعر على الوتر نفسه في قصيدة "من ينصف الشعر":

لهَا بِهِ النَّـاسُ في بَدْوٍ وحَاضِـرةٍ حَتَّى أحَلُّو بِدَعوَى الشِّعْرَ مَا حَرُمَا

وسَفَّهُوا كُلَّ مَا جَـاءَ الخَلِـــيلُ بِهِ وقلَّدُوا الغَربَ واجّـتَرُّوا لنَا النقمات

جَـاءُوا بِشِـعْرٍ بِلا وَزْنٍ وَقَافِيَـــةٍ قَالُوا لنَـا إنَّنَا نَمْضِـي بِهِ قُدُمَا

باتَ الغُمُوضُ شِعَارَ الشِّعْرِ وا أسَفَا وأصْبَحَ الشِّعرُ سَطْحِيًّا إذَا فُهِـمَا

أينَ الغُمُوضُ بِأشْعَارِ الذين مَضَـوْا وأصبَحَتْ لِلوَرَى أشْعَارُهُمْ حِكَمَا؟ [3]

وأيًّا ما كان الأمر فالعبرة في الأدب لا تكمن في الاتجاه الذي يذهب إليه الأديب المنشئ, ولا في المذهب الذي يصطنعه المبدع, ولكنها تكمن في صدق التعبير، وجمال الأداء، وحرارة الانفعال, وهذه أمور لا تتأتى للملتزم بمذهب أيًّا كان هذه المذهب, وإنما تتأتى لمن يعبّر في حرية دون افتعال, وتلك هي الأصول التي يقوم عليها الأدب وبها ينتشر, وتُزال من وجهه كل عقبات اللغة، وحواجز اللون والجنس, وإن شعرنا العربي إذا ابتعد عن التقليد والمحاكاة, ونبع من قلب مجتمعنا, ومن عمق أصالتنا, وانتمائنا, وعبَّر المبدعون فيه عن أنفسهم في صدق, سوف يغزو كل قلب, ويدخل حنايا العقول. [4]

---

[1] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان،72, 73.

[2] – محمد مصطفى هدارة: الشعر المعاصر إلى أين,8.

[3] – حسن محمد حسن الزهراني: صدى الأشجان, 130, 131.

[4] – محمد مصطفى هدارة الشعر المعاصر إلى أين, 9.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والجدير بالذكر أن الزهراني كتب قصيدة التفعيلة بجانب القصيدة العمودية في أعمال أخرى .

مهما يكن من أمر فإن حسن الزهراني يعبر عما يريد دون تكلف أو تصنع، ويصوغ ما يدور في ذهنه في سهولة ويسر، وهو في الاتجاهين السياسي والثقافي نرى في شعره فخامة الشعر القديم، أما في معظم الشعر الاجتماعي والديني فيقترب من النثرية من حيث وضوح الفكرة، وتقريرية العبارة والميل إلى السرد والتفصيل، والاقتصاد من الخيال، وقلة الحرص على التصوير الفني.

نتائج البحث

1- توظيف الشعر في التعبير عن الواقع.

2- تعبير القصيدة عن أزمة الإنسان المعاصر.

3- محاولة القصيدة المعاصرة التخفيف من الواقع المأزم للإنسان.

4- تقديم نموذج جيّد من الشعراء للباحثين والقراء.

5- اقترب الشاعر في معظم الشعر الاجتماعي والديني من النثرية من حيث وضوح الفكرة، وتقريرية العبارة والميل إلى السرد والتفصيل، والاقتصاد من الخيال، وقلة الحرص على التصوير الفني.

5- تجلَّى في الاتجاهين السياسي والثقافي نرى في شعره فخامة الشعر القديم.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N8 العدد الثامن : ص.ص 366- 388
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الهوامـش

1- إبراهيم ، نبيلة: فن القص بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الغريب ، القاهرة ، د.ت.

2- إ دريس ، محمد جلاء إدريس: الأدب السعودي الحديث ،ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1428. -2007.

3- بخالفة، فتحي: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة ،ط1 عالم الكتب ،الأردن،2010 .

4- بارت، رولان: مدخل إلى التحليل البنيوي ، ترجمة: منذر عياشي، دار الإنماء الحضاري، 1993 .

5- تود روف، تزفتان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، ط2 ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د.ت.

6 – جرييه، ألان روب: نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

7- حسن، عبد الكريم: لغة الشعر في زهرة الكيمياء بين تحولات المعنى ومعنى التحولات ، مجلة فصول، مج 8 ، ع1 ، 2 ، القاهرة 1989 .

8- خليف، يوسف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، 82، دار غريب، القاهرة ، د.ت.

9-الزهراني،حسن محمد حسن: صدى الأشجان، ط1 ، مطابع الإيناع، المملكة العربية السعودية ،1426 . - 2005- 006م.

10-.محمد صالح الشنطي: في الأدب العربي السعودي، ط 4 ، دار الأندلس، حائل،1427. - 2006.

11- عبد المطلب ، محمد : بلاغة السرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة' 2001 .

12- ..... : النص المشكل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة1990 .

13- فضل، صلاح: أساليب السرد في الرواية العربية، ط1 ، دار سعاد الصباح، الكويت،1992 .

14- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ، د. ت.

15- لحمداني، حميد: القراءة وتوليد الدلالة تغيير عادتنا في قراءة النص الأدبي،183، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،2007.

16- محمد، يحيى: جدلية الخطاب والواقع، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2007 .

17- مرتاض، عبد الملك : في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد " المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1998.

18- موافى، عبد العزيز: الرؤية والعبارة مدخل إلى فهم الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الأسرة)، القاهرة ، 2010.

19- ناصف ، مصطفى : مشكلة المعنى في النقد الحديث، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1965.

20- نوفل ، يوسف حسن : النص الكلي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004 .

21- هدارة، محمد مصطفى: الشعر المعاصر إلى أين قراءة في قصائد شعراء الغربية، مطبوعات الرافعي، الغربية، مصر،1984.

22- هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، دار نهضة مصر، القاهرة ، د .ت .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/03/2023
العدد الثامن : ص.ص 366- 388 ISSN:2958-8537 Issue: N8
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

23- يكبسون، رومان : قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،1998.
24- يقطين، سعيد: الأدب والمؤسسة والسلطة نحو ممارسة أدبية جديدة، ط1 ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،2002.
25- يس، السيد : التحليل الاجتماعي للأدب، ط2، دار عين للنشر، القاهرة ، 2007.